كلية: التربية الاساسية – حديثة

القسم: قسم التاريخ

مدرس المادة: د. حسام ابراهيم

المرحلة: الرابعة

الفصل الدراسي: الثاني

اسم المادة باللغة العربية: تاريخ العراق الاجتماعي

اسم المادة باللغة الانكليزية: Course Title: Social History of Iraq

اسم المحاضرة باللغة العربية: سياسة الاحتلال البريطاني واثرها على المجتمع العراقي

اسم المحاضرة باللغة الانكليزية: **British occupation policy and its impact on Iraqi society**

## المحاضة السابعة/ اولاً: ابعاد العراقيين عن الوظائف المهمة خلال عهد الاحتلال البريطاني

ان العراقيين ابان العهد العثماني لم يكونوا ممنوعين كلياً من اشغال المناصب الادارية فمن بين الملاك الاداري لولاية بغداد والبالغ عددهم (٢٠) عضواً كان عشرة فقط من العثمانيين والبقية كانوا من العراقيين، وكذلك من بين الموظفين التنفيذيين الرئيسيين والبالغ عددهم (٥٠) كان النصف منهم عثمانيين والنصف الاخر من العرب ومن ضمنهم العراقيين، كما كان عدد غير قليل يشغلون مناصب في الهيئة القضائية العثمانية فضلاً عن ان (٧٠%) من موظفي الجهاز المدني كانوا من السكان المحليين العراقيين.

اما تركيب الادارة البريطانية في العراق كانت مسيطرة من ناحية الوظائف الادارية فكان العراقيين على اختلاف طوائفهم وفئاتهم يشغلون نسبة مئوية قليلة لا تتجاوز (٣,٥%) من المناصب المهمة وكانوا غائبون كلياً عن عدة دوائر مهمة وكانت جميع الدوائر تحت رئاسة موظفين بريطانيين حيث كان العراق مقسماً الى وحدات ادارية تتألف من (١٤) منطقة كل وحده منها تحت امرة ضابط سياسي بريطاني ولم يكن من بين هؤلاء عربي وكانت تلك المناطق بدورها مقسمة الى وحدات ادارية اصغر يديرها معاونو ضباط، ومن مجموع (٩٠) معاون ضابط سياسي كان هناك (٤) من اصل محلي وكان البقية من البريطانيين وكانوا العراقيين محرومين من اية مساهمة فعلية في اتخاذ القرارات المتعلقة بالمسائل الادارية العامة.

وان تلك الظروف التي جعلت البطالة وخيبة الامل ادت الى الحركة المناوئة لبريطانيا وان هذا الوضع المتسم بالبطالة والرواتب المنخفضة كان مصحوباً بزيادة عالية جداً في تكاليف المعيشة انعكس سلباً على الواقع الاجتماعي العراقي وان

الاسعار في اوائل عام ١٩١٧ ارتفعت بشكل كبير ما قدر بثمانية اضعاف عنها ما قبل الحرب.

**ثانياُ: تغذية مظاهر الاقطاع واشاعة التفرقة الطبقية بين افراد المجتمع العراقي**

ان السلطات البريطانية اقتنعت بأن استمرار سيطرتها على العراق رهن بقدرتها على خلق قوى اجتماعية ثابتة تكون موالية لها وتستمد منها الدعم والاسناد وعملت سلطات الاحتلال البريطانية على استغلال العلاقات القبلية بأساليب جديدة ووسائل متعددة ولاسيما بعد استيلاء الاقطاعيين على الاراضي الاميرية وما اصاب علاقاتهم مع الفلاحين.

كما حاولت بريطانيا تغذية النظام الاقطاعي وترسيخه وتنظيم اسسه قانونياً من اجل تكوين قاعدة اجتماعية مضمونة يمكن الاعتماد عليها في حكم العراق وتخدم مصالحهم في ان واحد، ويعد هذا الامر من العوامل المهمة التي فرضت ان تكون من اهم تشريعات سلطات الاحتلال وقراراتها، وقد عملت بريطانيا من خلق تلك الزمرة الجديدة من الاقطاعيين والتي امدوها بالدعم من اجل ان تخدمهم بأمانه واخلاص ونجحوا في مساعيهم الى حد بعيد في تلك المرحلة فقاموا بتوزيع الاراضي الحكومية والمشاعة على الموالين لهم والمرتبطين بهم من شيوخ القبائل والتجار وكبار الموظفين وكانت نتيجة هذا نزع ملكية الافراد من الطبقة الفقيرة وجعلهم مزارعين محرومين من ابسط الحقوق وان تلك السياسة التي اتبعتها بريطانيا راقت لرؤساء القبائل لانها مكنتهم من الاحتفاظ بسلطتهم على القبائل فضلاً على حصولهم على المال الوفير نتيجة السياسة البريطانية التي اعطتهم السلطة المطلقة في التصرف بحياة القبائل تلك، اذ هي الطبقة الاجتماعية للفئات التي تكونت منها الطبقة الاقطاعية الجديدة وهكذا حلت تلك الطبقة الجديدة من الاقطاعيين محل الطبقة القديمة من الشيوخ.

ومن بين السياسات التي استخدمتها الادارة البريطانية في المجتمع العراقي هي سياسة (فرق تسد) التي تعمل على اثارة الخصومات داخل المجتمع وكانت سياسة البريطانيين القائمة على اساس هذا الشعار تسعى لربط البلاد بأسواقها من خلال الاعتماد المباشر على عدد محدود من رؤساء ووجهاء العشائر المتنفذون والذين اقاموا علاقات معهم منذ بداية الاحتلال وركزوا القوة الاقتصادية والسلطة الادارية بأيديهم، والذي توضح في تقرير الحاكم السياسي البريطاني في العمارة قوله "لقد ساعدنا ايام الحرب بقاؤنا على شيخ واحد في مقاطعات كبيرة ... ان المهمات جعلت من الضروري والعملي اسناد الشيوخ الكبار" وتلك السياسة تركت اثارها على المجتمع العراقي والتي ادت بدورها الى تعزيز التناقضات والمشكلات الاجتماعية وتميز الحكم البريطاني بالتحيز التام ضد قبائل الفرات الاوسط التي وقفت ضدهم وحاربتهم.

ان تضائل السلطة المحلية في مجتمع عشائري كالمجتمع العراقي لابد ان يؤدي الى استفحال الفوضى ونشوب المعارك بين العصبيات المختلفة التي يتكون منها المجتمع العراقي، وكان جزء من تلك الفوضى بسبب الجهل وانتشار الامية التي تعد احد عوامل التخلف في المجتمع وان جهل المجتمعات يسبب الى عدم معرفة دوافع الاستعمار وما هي اهدافه من خلق فوضى لاي بلد كان، وهذا ما حدث في الفرات الاوسط ومن بين اهم الظواهر الاجتماعية في الفرات الاوسط هو استفحال النزاع بين المحلات في داخل كل بلدة ولكنه نزاع سرعان ما يختفي عندما يهدد المدينة خطراُ يأتيها من الخارج ترى اهل البلدة يتحدون كلهم ونسوا عداوتهم القديمة وتكتلوا تحت راية واحدة لدفع الخطر العام الذي يهددهم لكن بعد زوال الخطر يعودوا الى التنازع مجدداً.

ومثال على ذلك ما حدث في الديوانية خلال عهد الاحتلال البريطاني ما ذكره المفتي اسماعيل الواعظ قائلاً "كان في زمن الحرب ... سلب ونهب واضطراب، فمن وقت اعلان الحرب الى وقت الاحتلال كنا في الديوانية بحالة يرثى لها، ولاسيما في السنة الثالثة، فقد كنا اذا امسينا لا نؤمن الصباح واذا اصبحنا لا نؤمن المساء ... لم تكن الحكومة وقت اذ مسيطرة على الاهالي" وان تلك الاحداث حدثت كذلك في النجف ويمكن القول بوجه عام ان مدن الفرات الاوسط كلها كانت تعيش تلك الحالة اذ يتنازع سكانها فيما بينهم حتى اذا ما جاءهم خطر عام اتحدوا ضده.

ومن معالم الفوضى كذلك سعت سلطات الاحتلال البريطاني الى اشاعة النعرات الدينية والمذهبية بين مكونات المجتمع العراقي، حيث اشار تقرير بريطاني في تشرين الاول ١٩١٨ على عزم السلطة الادارية للاحتلال على تعيين قاض سني في مدينة النجف التي يقطنها المكون الشيعي فضلاً عن اصدار تعليمات على العمال العاملين عندها بإجبارهم ارتداء ثياب موحدة حسب انتمائهم القومي والمذهبي فالعمال الشيعة يرتدون كوفية زرقاء وعقال ابيض واخوانهم العمال السنة يرتدون كوفية حمراء وعقال اسود وذلك من اجل تمزيق لحمة الشعب العراقي.

كان موقف الشعب العراقي بعد الاحتلال البريطاني الترقب والانتظار لتنفيذ الوعود الكثيرة التي قطعتها بريطانيا للعرب عامة والعراق خاصة اذ جاءت ردة فعل المجتمع بكل اطيافه على الاحتلال البريطاني بشكل سريع وكان التعبير عن ردة الفعل تلك بأشكال متباينة فلم تمض سوى بضعة اشهر على مباشرة القوات البريطانية باحتلال الاراضي العراقية حتى هب اكثر من (١٠,٠٠٠) من رجال العشائر العربية والكردية من اجل التصدي لقوات الاحتلال البريطاني، وكان رد الفعل العام للجمهور العراقي تجاه الغزو البريطاني في ايامه الاولى هو السخط والازدراء ودعا العلماء المسلمون الى الجهاد وهجر الموظفون العرب دوائرهم

وانسحبوا مع الاتراك المتقهقرين، وحافظ الضباط العرب على ولائهم لرؤساء الاتراك.

حيث شهد تاريخ العراق الحديث احداثاً سياسية مهمة شكلت نقاط تحول تاريخية كان ابرزها مقاومة الشعب العراقي ضد جيش الاحتلال البريطاني، وبرز آنذاك العديد من القادة الوطنيين والزعماء السياسيين الذين التفت حولهم شعوبهم لنيل الحرية والاستقلال وطرد قوات الاحتلال من البلاد وان دعوة الجهاد في العراق نجحت بشكل كبير واستجاب الناس لفتاوى العلماء لدعوة الجهاد في النجف وبغداد والبصرة.